شـــرح:

كتاب الصيام

من كتاب:

صحيح الترغيب والترهيب

تأليف:

محمد ناصر الدين الألباني

لِفَضِيْلَة الشّيْخ:

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فأسال الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُبارك لنا في الشهر، وأن يُضاعف لنا الأجر، وأن يُعيننا عَلَىٰ قيام رمضان وإصابة ليلة القدر.

ثُمَّ معاشر الفضلاء؛ اعلموا أن الناس في صيامهم كالناس في إيمانهم، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابقٌ بالخيرات.

والسابق بالخيرات في صيامه في شهره هو الَّذِي يُحسِن صيامه، فيصوم إيمانًا واحتسابًا، ويصون صومه عن المحرمات، فلا يعصِ الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحرص عَلَىٰ أن يقوم ليالي رمضان، وعَلَىٰ أن يُكثِر من قراءة القرآن، وعَلَىٰ أن يُكثِر من الْدُّعَاء، وعَلَىٰ أن يتقلل من فضول المباحات.

هٰذَا الَّذِي صام رمضان، وأدى هٰذِه الأعمال سابقٌ بالخيرات في شهره، سابقٌ بالخيرات في صيامه، وإِنْ هي إِلَّا أيام معدودات تُعد عدًا وما يُعد يمضي سريعًا.

فوصيتي لنفسي وإخواني: أن نغتنم أيام هٰذَا الشهر وليالي هٰذَا الشهر، وأن نحرص عَلَىٰ أن يكون هٰذَا الشهر خير شهرٍ مر علينا في عمرنا فيما مضى مِن أعمارنا، نُحسِنه ونزينه ونُكَمِّله، ونحرص عَلَىٰ الخير الَّذِي فيه.

معاشر الصائمين؛ نُواصل درسنا في شرح: (**صحيح الترغيب والترهيب**) الَّذِي انتقاه أمير المؤمنين في الحديث في زماننا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من كتاب: (**الترغيب والترهيب**) للحافظ المنذر رَحِمَ الله الجَمِيعَ، ونحن نشرح كتاب الصيام من هٰذَا الكتاب الجليل النافع عظيم المنافع.

ولا زلنا مع الأحاديث الواردة في الترغيب في الصوم مطلقًا وفي بيان فضله، وقد تقدم البيان أن خير الصوم هو: صوم رمضان، وأفضل الصوم هو: صوم رمضان، فكل فضلٍ ورد للصوم فلِصوم رمضان منه أعلاه وأحلاه وأجلاه وأكمله.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهنا في دينه، وأن يجعل لنا ما جعل للصائمين من الفضائل، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ: فَاللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَالسَّامِعِينَ.

قَالَ الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي وزاد: «وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

وابن خُزيمة في صحيحه إِلَّا أَنَّه قال: «فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، مَنْ دَخَلَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

(الشرح)

هٰذَا الحديث الصحيح عن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ»، هٰذَا من الحديث حذفه الحافظ، «يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»، رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، زد وابن ماجه، وزاد؛ أي الترمذي وابن ماجه: «وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبشرًا أُمته، ومُرغبًا أمته في الصيام: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا»؛ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا» ولم يقل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لِلجَنَّةِ بابًا، وَإِنَّمَا قَالَ: «فِي الجَنَّة» للدلالة عَلَىٰ أن باب الجَنَّة مِنها، وأن فيه من النعيم ما في الجَنَّة، فلِأهل هٰذَا الباب نعيم الجَنَّة.

وَهٰذَا الباب يُقال له: الريان، اسمه الريان، الملائكة تقول عنه: الريان هٰذَا اسمه، الريان من الرَّي أو كثرة الرَيِّ أو الرِيِّ، فأهله لهم كمال الرِيِّ عند دخوله، ولهم كمال الرِيِّ في الجَنَّة.

وَهٰذَا يدل يا معاشر الأحبة عَلَىٰ أن للصائمين المكثرين من الصيام مزيةً في الرِيِّ عَلَىٰ غيرهم في الجَنَّة، كل أهل الجَنَّة يرتوون، لكن الصائمين لهم زيادة في كمال الرِيِّ؛ لأنهم أَعطشوا أنفسهم في الدنيا لله، عطشوا في الدنيا من أجل الله، فجزاهم الله بأن جعل لهم بابًا في الجَنَّة يُقال له: الرَّيان، وَهٰذَا يدل عَلَىٰ كمال رِيهم في الجَنَّة، وعَلَىٰ زيادة رِيهم في الجَنَّة.

وَهٰذَا الباب هو باب الصائمين، والله عَزَّ وَجَلَّ جعل لِلجَنَّةِ ثمانية أبواب كما ثبت بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعض هٰذِه الأبواب تُسمى بأسماء العبادات الكبرى؛ فهناك: باب الصلاة، وهناك: باب الصدقة، وهناك: باب الجهاد، وَأَمَّا الصوم فلم يُسمَّى بابه بباب الصوم، وَإِنَّمَا سُمي: بالريان؛ لأن الصوم في اللغة كَمَا تَقَدَّمَ يعني المنع والإمساك، فلم يُناسب أن يُسمى به الباب الَّذِي هو نعيم، فسُمي: بالريان مقابل عطش الصائمين.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إذًا علمنا من سنة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أبواب الجَنَّة ثمانية كما في الحديث المتفق عليه، وعلمنا أسماء بعض هٰذِه الأبواب: باب الصلاة، باب الصدقة، باب الجهاد، باب الريان.

والمقصود: أن مَنْ أَكثَر مِن جنس شيءٍ من هٰذِه العبادات دُعي من بابها، فمَن أَكْثَر من الصلوات، وكان حريصًا عَلَىٰ التقرب بالصلاة بفرضها ونفلها وأَكثَر من هٰذَا، ولا يعني هٰذَا أنه لا يصوم وأنه لا يتصدق، لكنه أَكثَر من باب الصلاة من التعبد بالصلاة، فإنه يُدعى من باب الصلاة، ومن أكثر من الجهاد فإنه يُدعى من باب الجهاد، ومَن أَكثَر من الصدقة فإنه يُدعى من باب الصدقة، ومن أكثر من الصيام مِن فرضه ونفله حَتَّىٰ غلب عليه فإنه يُدعى من باب الريان.

فيُقال أين أهل الصلاة؟ فيدخلون من باب الصلاة، أين أهل الجهاد؟ فيدخلون من باب الجهاد، أين أهل الصدقة؟ فيدخلون من باب الصدقة، أين الصائمون؟ تشريفًا لهم فيدخلون من باب الريان.

ولا يعني هٰذَا أن الصائم لا يدخل إِلَّا من هٰذَا الباب، وَإِنَّمَا يعني أن هٰذَا الباب لا يدخل منه إِلَّا الصائم، فَهٰذَا الباب يختص به أهل كثرة الصيام، ولكن قد يُدعى الصائم من أبواب الجَنَّة الثمانية، يدخل مِن أَيُّهَا شاء، ولكن إذا خُيِّر قَالَ العلماء: سيختار باب الريان؛ لأنه إذا دخل سيشرب فورًا، فيُلهمه الله أن يختار باب الريان ليدخل منه.

قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ»؛ الصائمون: يعني الَّذِي يُكثِرون من الصيام من الأمم السابقة من أهل التوحيد، ومِن أمة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الصيام ليس خاصًا بأمة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٣]، إذًا كان الصيام مشروعًا للأمم السابقة.

فقول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ»؛ أي مَن أكثر من الصيام من أهل الجَنَّة ممن يستحق دخول الجَنَّة بفضل الله، سواء كان من الأمم السابقة، أو من أمة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ»؛ يعني إذا دخل آخرهم، كما جاء في بعض الروايات.

«فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»؛ القياس يا إخوة في اللغة أن يُقال: فلا يدخل منه أحد؛ لأنه نفي للمستقبل و(لم) نفي للماضي، فإذا قلت: لم يأت مُحَمَّد يعني فيما مضى، لكن جاز هنا؛ لأنه عطفٌ عَلَىٰ قوله: «لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ» فأخذ معناه فجاز ذلك.

وفي زيادة الترمذي وابن ماجه: «وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ» تُفسرها رواية ابن خُزيمة: «فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُم أُغْلِقَ وَمَنْ دَخَلَ شَرِبَ» فيشرب فور دخوله، فكرامة الصائمين عند دخولهم الجَنَّة الشرب يشربون.

«وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»؛ وكل أهل الجَنَّة لا يظمؤون يا إخوة، لكن كَمَا قُلْنَا للصائمين مزية في هٰذَا فلهم كمال الرِيِّ، وَهٰذَا فضلٌ عظيم جعله الله عَزَّ وَجَلَّ للصيام والصائمين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ورُوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نبي الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»، رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي.

(الشرح)

رواه أحمد بإسناد حسن، ورواه البيهقي في شُعَب الإيمان، هٰذَا الحديث الَّذِي حسنه المنذري، وقال الألباني: "حسنٌ لغيره" تقدم معناه.

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»؛ أي الصيام سترة ووقاية، وقد علمنا فيما مضى أن الصيام جُنَّة من الأخلاق الرديئة، وجُنَّة مِن فعل المعاصي، وجُنَّة من النَّار، ففيه وقاية من رداءة الأخلاق، وفيه وقاية من فعل المعاصي، وفيه وقاية من دخول النَّار، هٰذَا نصٌّ فيه كونه وقاية من النَّار: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ».

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نبي الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّة يَسْتَجِنُّ بِهَا العَبْدُ مِنَ النَّار»، رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي.

(الشرح)

كذلك رواه البيهقي في شُعَب الإيمان.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعَن عثمانَ بنِ أبي العاصي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النَّارِ كَجُنَّة أَحَدِكُمْ مِنَ القِتَالِ، وَصِيَامٌ حَسَنٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْر» رواه ابن خزيمة في "صحيحه".

(الشرح)

«الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النَّارِ كَجُنَّة أَحَدِكُمْ مِنَ القِتَالِ»؛ هٰذِه القطعة رواها أحمد، وابن ماجه، والنسائي.

وبالمناسبة بعض الطلاب يسألون يقولون: ابن ماجه أو ماجةَ بالتاء؟ المتقدمون عَلَىٰ الهاء؛ لأنه اسم أعجمي، والأسماء الأعجمية تنتهي بالهاء، فسيبويه ومثلًا ابن ماجه ونحو ذلك.

لكن بعض العلماء قَالَ: إنه بالتاء، أو يجوز فيه الهاء والتاء؛ لأنه اسم عُرِّب، فصار عربيًا، فتجري عليه قاعدة العربية، وقاعدة العربية في مثله جواز التاء والهاء.

وبعضهم قَالَ: إنه لقبٌ لأمه فيجوز فيه الهاء والتاء، لكن الصواب: أنه لقب لأبيه وليس لأمه.

الشيخ عبد السلام هارون ومحمد فؤاد عبد الباقي إن لم أكن ناسيًا ذَكَرَ أنه يجوز التاء والهاء، فالأمر واسع، لكن الهاء هي الَّتِي كان يستعملها المتقدمون ويضبطون الاسم بها.

إذًا هٰذِه القطعة: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النَّارِ كَجُنَّة أَحَدِكُمْ مِنَ القِتَالِ» رواها أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن خُزيمة، وكمال الحديث عند ابن خزيمة، الحديث بتمامه عند ابن خُزيمة.

«الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِن النَّارِ»: الصيام وقايةٌ من النَّار، إذًا يا عبد الله أنت الآن تُعِد وقايتك مِن النَّار، فجوِّد درعك، جوِّد حصنك، قوِّي حصنك لتنجوا وتُعتَق وتُبعد عن النَّار.

«وَصِيَامٌ حَسَنٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْر»؛ أي مع صيام رمضان؛ لأنه صيام الدهر، وسيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ في موضعه.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟» قلتُ: بلىٰ يا رسولَ الله، قَالَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ» رواه الترمذي في حديثٍ وصححه، ويأتي بتمامه في "الصمت" إِنْ شاء الله، وتقدم حديث كعب بن عجرة وغيره بمعناه.

(الشرح)

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرشد أصحابه إِلَىٰ معالي الأمور، ومن ذلك أنه قَالَ لمعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟»؛ أي أبواب الخير الكبرى، (قَالَ: قلتُ بلىٰ يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»)؛ يعني إن الصوم بابٌ كبيرٌ من أبواب الخير وهو جُنَّة وقاية كَمَا تَقَدَّمَ.

«وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»؛ ولذلك يا إخوة من أبلغ مُكفِّرات الذنوب بالأعمال الصدقة: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»، مِن أفضل ما تُتبَع به السَّيِّئَة لتُمحَى الصدقة، فإن الصدقة مُطفأَة للخطيئة.

وَهذَا يدل يا إخوة: عَلَىٰ أن الخطيئة والمعصية نار، المعصية نار والله، أصحابها مساكين يظنون أنها لذة، والله إنها نار تحتاج إِلَىٰ إطفاء، وإطفاؤها بالصدقة.

ولذلك يا إخوة المؤمن مرحوم، الواجب عليه أن يترك المعاصي، فإذا ذل ووقع في المعصية فالواجب عليه أن يفعل ما تُكفَّر به المعاصي، ومن ذلك الصدقة.

انظر! النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا جمع بين الصوم والصدقة في الوقاية من النَّار، وفي أنهما من أبواب الخير، ولذلك شُرع الجمع بينهما في رمضان، شُرع الجمع بين الصوم والصدقة في رمضان.

كانت صدقات النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظم في رمضان، فكان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فَلَرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يلقاه جبريل كالريح المُرسَلَة بالخير.

إذًا من السُّنَّة يا عبد الله: أن تجمع في شهر رمضان بين الصيام والصدقة، وأن تُكثِر من الصدقات في رمضان، فتجمع بين هذين البابين العظيمين: باب الصوم، وباب الصدقة.

(المتن)

قَالَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: وعن عبدِ الله بن عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ للعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُه الطَعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ مَنَعْتُه النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ فَيُشَفَّعَانِ»، رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله مُحتَجٌّ بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسنادٍ حسن، والحاكم وقال: "صحيح علىٰ شرط مسلم".

(الشرح)

هٰذَا الحديث الصحيح يقول فيه النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصِيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ للعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»؛ الشفاعة طلب الخير للغير، والشفاعة يوم القيامة: سؤال الله المغفرة وَالجَنَّة لعباده، فيشفع شفعاء؛ يوم القيامة تشفع الملائكة، ويشفع الصالحون، ويشفع الأنبياء ورأسهم مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتشفع بعض الأعمال.

بعض الأعمال مع ثوابها وعظيم ثوابها تشفع لصاحبها أن يغفر الله له، وأن يُدخِله الجَنَّة، ومن ذلك الصيام، والقرآن؛ أي وقراءة القرآن، فيشفع القرآن لمن قرأه، وعمل به، وقام اَللَّيْل به كما في هٰذَا الحديث، ويشفع لَمن أكثر من قراءته في الصلاة أو غيرها.

إذًا يا إخوة القرآن يشفع لَمن قرأه وعمل به وقام اَللَّيْل به، ويشفع أيضًا لَمن أكثر من قراءته وعمل به، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» رواه مسلم في الصحيح، «اقْرَؤُوا القُرْآنَ»؛ يعني أكثروا من قراءة القرآن، لما؟ «فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»، والصاحب يا إخوة هو الملازم مُكثِر الملازمة، فالمقصود يأتي شفيعًا لَمن يكثرون قراءته مع العمل به.

القرآن يوم القيامة شافعٌ لصاحبه إن قرأه وعمل به، وشاهدٌ عَلَىٰ مَن هجره أو قرأه ولم يعمل به، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» رواه مسلمٌ في الصحيح، فَإِمَّا أن يكون شفيعًا لصاحبه يُحاجج عن صاحبه، وَإِمَّا أن يكون شاهدًا عَلَىٰ مَن هجره أو عَلَىٰ مَن قرأه ولم يعمل به -نعوذ بالله من سوء الحال-.

والقرآن كلام الله بلا شك، فكيف يشفع لصاحبه يوم القيامة؟ نص بعض أهل السُّنَّة أن المعنى: **"أنه يجيء عمل العبد بالقرآن، وقراءة العبد للقرآن فتشفع له"**؛ يعني يا إخوة في بعض مواقف القيامة يأتي ثواب القرآن وجزاءه، كما يأتي عَلَىٰ هيئة سحابه تُظلل صاحبها يوم القيامة، هٰذَا ثواب القرآن، يأتي عَلَىٰ هيئة سحابه تظلل صاحبها.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: **"أحمدُ وغيره"**، أحمد إمام أهل السُّنَّة، **"أحمد وغيره من أئمة السُّنَّة فسروا هٰذَا الحديث بأن المراد به: مجيء ثواب البقرة وآل عمران، كما ذُكر مثل ذلك في مجيء الأعمال في القبر وفي القيامة، والمراد منه ثواب الأعمال، وَالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ**: «اقْرَؤُوا البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا يَجِيئَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ غَمَامَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»، **وَهٰذَا الحديث في الصحيح"**.

لا زال الكلام لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: **"فلما أُمر بقراءتها وذكر مجيئها يُحاجان عن القاري عُلم أنه أراد به قراءة القاري لها وهو عمله، وأخبر بمجيء عمله الَّذِي هو التلاوة"**، فَهٰذَا نص من بعض أئمة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بهذا.

وقال بعض أهل العلم: إنه يشفع، وَأَمَّا كيف يشفع فأمره إِلَىٰ الله، نحن نجزم ونعتقد يقينًا أن القرآن كلام الله، وأنه يشفع لصاحبه يوم القيامة.

يقول: «مَنَعْتُه النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ»؛ أي اقبل ائذن لي في شفاعتي له، واقبل شفاعتي له؛ لأنه لا يشفع أحدٌ يوم القيامة إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «فَشَفِّعْنِي فِيهِ»؛ يعني ائذن لي أن أشفع له واقبل شفاعتي له.

وكذلك الصوم يشفع للعبد يوم القيامة، فيشفع لمن أتقنه وصانه وكمَّله، «يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُه الطَعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ»؛ لا تضجر يا عبد الله من ترك الطعام والشراب والشهوة في الصيام، فإن هٰذَا الصيام سيشفع لك بين يدي الله إن أحسنته وأتقنته، فيستأذن الله في أن يشفع لصاحبه وأن يقبل شفاعته، والله مُشفِّعٌ لها؛ يأذن لها ويقبل شفاعتها.

ولذلك يا معاشر الأحبة شُرع أن يُجمع في رمضان بين قراءة القرآن وبين الصيام لهذِه المزية العظيمة، فرمضان شهر القرآن، فيُشرع للمؤمن أن يجمع في رمضان بين الصوم وتكميله وتزيينه وبين كثرة قراءة القرآن.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أسندتُ النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ صدري، فَقَالَ: «مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّة» رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والأصبهاني ولفظه: «يَا حُذَيْفَةُ مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّة».

(الشرح)

وكذلك رواه الحارث في مسنده، وعند البزَّار: «مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ دَخَلَ الجَنَّة» وصححه الألباني في صحيح الجامع.

هٰذَا الحديث فيه فضلٌ عظيمٌ للصيام: «مَن قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّة»؛ فمَن كان آخر كلامه من الدنيا "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" دخل الجَنَّة.

«وَمَنْ صَامَ يَوْمًا»؛ لاحظوا يا إخوة: يوم نكرة في سياق الشرط فتعم، يعني مَن صام يومًا من رمضان أو من غير رمضان: «وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله»؛ صامه إيمانًا واحتسابًا يبتغي ثواب الله، يبتغي وجه الله: «خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

«وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ»؛ تصدق بصدقة يبتغي بها وجه الله: «خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّة»؛ فمَن خُتم له بصيام يومٍ يُريد به وجه الله عَزَّ وَجَلَّ أدخله الله الجَنَّة، ولذلك يقول العلماء: **"مِن علامات حسن الختام أن يموت العبد صائمًا"**، فهو موعودٌ بأن يُدخله الله عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قلتُ يا رسول الله مُرْنِي بِعَمل، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»، قلتُ: يا رسول الله مُرْنِي بِعَمل، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» رواه النسائي وابن خُزيمة في صحيحه هكذا بالتكرار وبدونه، وللحاكم، وصححه.

وفي رواية للنسائي قَالَ: أتيت رسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلتُ: يا رسول الله مرني بأمرٍ ينفعُني الله به، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فإنَّه لَا مِثْلَ لَهُ».

ورواه ابن حبان في "صحيحه" في حديثٍ قَالَ: قلتُ يا رسول الله دُلَّنِي علىٰ عملٍ أدخلُ به الجنةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّه لَا مِثْلَ لَهُ»، قَالَ: وكان أبو أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يُرىٰ في بيته الدخان نهارًا إِلَّا إذا نزل بهم ضيف.

(الشرح)

هٰذَا الحديث الصحيح عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **"قلتُ يا رسول الله مُرْنِي بِعَمل"**، وفي رواية: **"مُرْنِي بأمرٍ آخذه عنك"**، رواه النسائي، وفي رواية قَالَ: **"أي العمل أفضل؟"** رواه النسائي، وفي رواية: **"مُرْنِي بعملٍ آخذه عنك ينفعني الله به"**، رواها أحمد، وفي رواية: **"مرني بعملٍ يدخلني الجَنَّة"**، رواها أحمد.

فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ»؛ أي الزم الصوم وأكثر من الصوم، «فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»؛ أي فإنه لا مثل له في الثواب، تقدم معنا يا إخوة أن كل عمل ابن آدم يُضاعَف: «الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ

أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ مَا شَاءَ اللهُ، إِلَّا الصَّوْمَ»، مضاعفة ثوابه لا يعلم قدرها إِلَّا الله، فإنه لا مثل له في الثواب، وفي أثره في النفس وتزكيتها، وفي أثره في القلب وإصلاحه، وفي أثره في أخلاق العبد.

وقد جاء في سبب الحديث يا إخوة: ما يدل عَلَىٰ أن الصيام عِوَضٌ عن الشهادة في سبيل الله لمَن لم يُرزقها، جاء في سبب الحديث ما يدل عَلَىٰ أن الصيام عِوض عن ماذا؟ عن الشهادة في سبيل الله لمَن لم يُرزقها.

فقد قَالَ أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ -يُريد الشهادة في سبيل-، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا ثَانِيًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، قَالَ: فَسَلَّمْنَا وَغَنِمْنَا، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ -هٰذِه المرة الثَّالِثة-، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: فَسَلَّمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ؛ الشهادة لم تُكتب لي، لم أُرزق الشهادة، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ». رواه أحمد، وصححه الشيخ مُقبِل الوادعي رَحِمَ اللهُ الجَمِيع.

فَهٰذَا الحديث يدل عَلَىٰ أن الإكثار من الصيام عِوضٌ لمَن لم يرزقه الله عَزَّ وَجَلَّ الشهادة.

↩ وهل هذَا الحديث يدل عَلَى أن الصيام أفضل الأعمال؟

قَالَ بهذا بعض أهل العلم، لَكِنْ الَّذِي عليه الجمهور: أن الصلاة أفضل الأعمال، وَهٰذَا الراجح، لَكِنْ الصوم لا مثل له فيما ذكرناه، لا مثل له في تضعيف ثوابه وفي أثره في نفس الإنسان.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة؛ لأنَّا قلنا إن مدة الشرح أربعون دقيقة، لَكِنْ للأسف ما ضبطتُ بداية الدرس، فإن كنتُ تجاوزتُ الوقت فسامحوني، يوم السبت إِنْ شَاءَ اللهُ نضبط الوقت، ونجيب عن بعض الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: وأبدأ بسؤال سألني إياه أحد الإخوة ورأيتُ أن من الفائدة أن أجيب عنه جوابًا عامًا، وهو: مَتَىٰ تكون دعوة الصائم الَّتِي لا تُرد؟

الجواب: فأقول: ثبت عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن للصائم دعوةً لا تُرَد، وجاء في بعض الروايات الَّتِي فيها ضعف: «حَتَّىٰ يُفطِر»، وجاء في بعض الروايات وفيها ضعف: «حِينَ يُفْطِرُ»، وجاء في بعض الروايات وفيها ضعف: «عِنْدَ فِطْرِهِ»، وأقوى هٰذِه الروايات الَّتِي فيها ضعف: «حَتَّىٰ يُفطِر».

إذًا دعوى الصائم الَّتِي لا تُرد هي حالة كونه صائمًا من طلوع الفجر إِلَىٰ غروب الشَّمْس، ليس هٰذَا خاصًا بوقت الغروب كما يفهم بعض الناس، بعد الفجر، ضحى، بعد الظهر، بعد العصر، لَكِنْ لا شك أن لآخر العمل مزيةً في الْدُّعَاء كما في الصلاة، بعد أن يبذل العبد ما يبذل في العمل ويتعب حَتَّىٰ يأتي إِلَىٰ آخره فإن لآخره مزيةً في الْدُّعَاء.

فحسنٌ أن يدعو الصائم عند آخر وقت صومه، لَكِنْ لا يُخصص الْدُّعَاء بهذا الوقت، يدعو الإنسان دعاءً عامًا ويدعو دعاءً خاصًا، ويُكثر من الْدُّعَاء للأُمَّةِ ولولاة الأمر وللعلماء ولنفسه ولأهله ولوالديه بما فيه الخير.

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، نفعنا الله بما سمعنا، أحسن الله إليكم؛ هٰذَا يسأل: عن ختم القرآن في أقل من ثلاث أيام؟

الجواب: كان للسلف أحوالٌ عظيمة في قراءة القرآن في رمضان، فكان منهم مَن يختم ستين ختمة في شهر رمضان، ومنهم من يختم أربعين ختمة في رمضان، في العشرين الأُوَل يختم في كل يومٍ مرة، وفي العشر الأواخر يختم في النَّهَار مرة وفي اَللَّيْل مرة، ومنهم مَن كان يختم كل ثلاث، والأغلب عَلَىٰ السلف أنهم يختمون في رمضان وفي غير رمضان كل سبعة أيام مرة، فالأمر واسع.

لَكِنْ الأفضل أن يترسَّل الإنسان في قراءة القرآن حَتَّىٰ يختم في كل سبعة أيام مرة، وإن زاد لعلو همته ورغبته فلا حرج عَلَىٰ الصواب، ولو ختم في كل يومٍ مرة.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هٰذَا يقول: من لديه الزهايمر ماذا عليه؟

الجواب: من فقد الذاكرة حَتَّىٰ أصبح يتذكر الأشياء القديمة كأنها حاضر، فإن كان من أهل البادية يتذكر الغنم، ويتذكر الإبل، ويتذكر جده وجدته وأمه، حَتَّىٰ أنه قد يُخاطب ابنه باسم أبيه ويقول: يا أبي، فَهٰذَا إذا غلب عليه هٰذَا حَتَّىٰ صار الغالب عليه أنه لا يتذكر حاضره ويتذكر أمورًا من الماضي، كأنها اليوم فإنه لا تكليف عليه؛ لا صوم، ولا صلاة، ولا قضاء، ولا غير ذلك، أما إن أُصيب به لَكِنْ لازال عقله معه، فإنه حال وجود عقله يكون مكلفًا.

ولذلك يا إخوة بعض الناس يعذِّب والده، خلاص صار ما يدرك، ثُمَّ يقول له: يا أبي قف، يا أبي كبِّر، يا أبي قل الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، ويعود عليه، يا أبي قل الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يا أبي اركع، لا اركع هكذا...

يا أخي إذا غلب عليه فقد العقل وفقد التذكر، فإن التكاليف تسقط عنه ولا يُطالَب بشيء، نعم.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ يقول: هل ثبت في السُّنَّة قول: (**سبحان الملك القدوس**) بعد الوتر؟

الجواب: نعم، كان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من صلاة اَللَّيْل قَالَ: «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّسِ» ثلاثًا يمد بها صوته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هٰذَا يقول: هل يجوز للمرأة أن تصلي في الفندق مع الإمام في المسجد النبوي؟

الجواب: أما أن يُصلي العبد في الفندق مع الإمام وهو لا يرى المأمومين فلا يجوز في أي مكان، أما إن كان يرى المأمومين ويسمع صوت الإمام وليس بينه وبين المُصلَّى أو الَّذِي يُصلي فيه الناس حائلٌ أجنبي، ما معنى حائل أجنبي؟ مثل طريق السيارات، إذا وُجدت هٰذِه الشروط، يرى المأمومين ويسمع الإمام ولم يكن بينه وبين المصلين حائلٌ أجنبي، فإنه يصح أن يُتابع الإمام.

لَكِنْ ينبغي أن يُعلم أنه بالنسبة للمدينة الصلاة في الفندق لا تأخذ فضل الصلاة في مسجد النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي صلاة عادية، الَّذِي يُصلي في المسجد خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إِلَّا المسجد الحرام، أما الَّذِي يُصلي في الفندق إن توفرت الشروط الَّتِي ذكرناها فإنه يحصل عَلَىٰ أجر الجماعة فَقَطْ.

أما في مكة فلا، الفضيلة فضيلة المضاعفة في مكة في جميع حدود الحرم، فإذا صلى في الفندق وصحت صلاته مع الإمام، فإن صلاته بمئة ألف صلاة.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هٰذَا يقول: من كان كبيرًا وله أمراض ومنعه الأطباء من الصيام، ورأى من نفسه أنه يُطيق صيام ثلاثة أيام أو أربعة في شهر رمضان، فهل يجوز له الصوم؟

الجواب: الصيام إِنَّمَا هو بحسب الطاقة والسعة، وإذا أخبر الأطباء أن الصوم يضره فإنه يحرم عليه أن يصوم ويجب عليه أن يفطر عَلَىٰ الراجح من أقوال العلماء، فإن كان مرضه يُرجى بُرأُه فإنه يقضي إذا شُفي، وإن كان مرضه لا يُرجى بُرأُه فإنه يُطعم عن كل يومٍ مسكينًا.

أما إذا نصحه الأطباء بعدم الصوم، لم يقولوا: إن الصوم يضره، لَكِنْ قالوا: ننصح بعدم صومه، فالأفضل ألا يصوم حَتَّىٰ يُشفى، فإذا رأى من نفسه في هٰذِه الحال أنه قادر عَلَىٰ أن يصوم فإنه يصوم، أما في اَلْأَوَّلُ: فلا، المرجع في هٰذَا إِلَىٰ الأطباء.

لعل في هٰذَا كفاية، غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ لن نجلس كما أخبرتكم، يومي الجمعة والثلاثاء ليس عندنا درس، سنجلس إِنْ شَاءَ اللهُ عصر السبت.

تقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمْ.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ